أوراق أحمد الشرع

اعداد : الدكتور إبراهيم الشرمان

على نول منوالها في الوفاء لأهل الوفاء تأبى جامعة اليرموك إلا أن تنسج حلل التكريم لمن أحسنوا الصنيع في كل مجال ، فها هي تقف وقفة وفاء تحية لأياد بيضاء في العلم والأدب .

إننا اليوم نحمل شعلة النور من منارات ثقافية وشعرية قضت نتناقلها جيلا بعد جيل مؤكدين على أن رسالة الفكر والتنوير لا تقف عند جيل بل تبنى لبنات يكمل بعضها بعضا من خلال السير على خطا المبدعين ومحاكاة الأعمال الإبداعية الرائدة وتدريب العقول على تجديد الأفكار وإيقاظها لتشع وتتوقد من جديد؛ فالوطن بحاجة إلى التميز والابداع والأمل كبير بقدرات المثقفين من شباب الوطن لخير الوطن وخير أنفسهم .

يسعدني أن أتحدث عن شاعر عربي مبدع حمل هم العروبة فوق كاهل القصيد، أحس بالطبيعة الأردنية وتغنى بمحبة الأردن، وقد عمد إلى استخدام اللغة الدارجة في الأردن والتي كانت تخاطب القلوب ـ فنجده يستخدم ألفاظا عامية في بعض الأحيان يامهنا في عمره ماتهنا معبرا بذلك عن ارتباطه بالبيئة لأنه ابنها عاش كعامة الشعب . وشارك قومه أحاسيسهم بعاطفة جياشة صادقة يبحث عن العالم المثالي الذي يتخيله حيث يكون فيه المجتمع متسامحا كريما حس مرهف وقريحة نافذة، ، خصال نبيلة ونفس عزيزة وروح كريمة معطاءة إنه الأستاذ والمربي الفاضل والشاعر المجيد أحمد الشرع الملقب بسادن الصومعة .

ولد الشاعر أحمد محمد أمين الشرع عام ألف وتسعمائة وخمسة وعشرين ١٩٢٥ في بلدة حوارة ونشأ في بيت والده العريق حيث كانت المجالس آنذاك هي الوسيلة الإعلامية التي تنتشر الكثير من الأخبار بواسطتها، وكانت أكثر الأحاديث تدور حول الاستعمار والمستعمرين وتثير نزعة كره ضد أعداء الأمة العربية، فانعكس ذلك على نفسية الشاعر الذي نفر من كل ممارسات الظلم والإيذاء وأصبح فيما بعد لسان

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار للدراسات الثقافية والأدبية – جامعة اليرموك

حال هذه المجالس ذات الهموم والويلات المشتركة في مرحلة خطيرة مليئة بالنكبات والويلات التي جرها الاستعمار والمتمثلة بنكبة فلسطين.

تلقى تعليمه الابتدائي والاعدادي في مدرسة تجهيز إربد، أما الثانوية ففي مدرسة السلط عام ١٩٤٣ تعرف خلالها إلى الشاعر عرار حين كان الأخير متصرفا لمدينة السلط وتعمقت العلاقة بينهما حيث أطلق عليه عرار لقب (سادن الصومعة)، وليس لهذا اللقب علاقة بشعر الشاعر وإنما أطلقه تحببا منه لأن أحمد الشرع أصغر ندماء الشاعر عرار.

زار الشاعر الدول العربية المجاورة وآخر زيارة له كانت إلى العراق الشقيق ، وكانت له صداقات كثيرة مع شعراء الدول المجاورة ، فقد اتصل بالشاعر إبراهيم طوقان وقال فيه : لو قيض له أن يعيش أكثر لما نازعه على زعامة الشعر أحد ، كما أنه نادم الشاعر أحمد النجفي ومحمد مهدي الجواهري وعبدالرحيم محفوظ وصحب أبا سلمى (عبدالكريم الكرمي) وحسني زيد الكيلاني ومحمد الشريقي وشاعر شباب فلسطين محمود الأفغاني ، وكان معجبا بالجواهري في وطنياته والكرمي في قومياته والأفغاني بحدة ذكائه وحسني زيد بدقة شعوره ، وعرار بكل شيء .

عمل في مدرسة العروبة الثانوية الأهلية مدرسا للغة العربية ومحررا في مجلة الميثاق التي أصدرها شفيق ارشيدات ومحمود المطلق وضيف الله لحمود، وفي عام ١٩٥٨ وأثناء زيارة جلالة الملك الحسين بن طلال طيب الله ثراه إلى إربد أمر بتعيين الشرع حاكما إداريا وظل يعمل متصرفا ومساعدا في محافظة إربد حتى أحيل إلى التقاعد عام ١٩٧١.

وفاته:

أصاب الشاعر مرض في نهاية حياته واستفحل به المرض مما أدى إلى بتر ساقه، وروى لي أكبر ابنائه عصام، قال: عندما نزل والدي من بيته إلى المستشفى آخر مرة قال: (إن هذه آخر مرة أنزل بها حيا درج بيتي) وفعلا كانت الأخيرة .

لقد ترك الشاعر أحمد الشرع الملقب بسادن الصومعة قصائد كثيرة ذات قيمة عالية من حيث الجودة والإيقاع الموسيقي والعبارة اللغوية ، كما أنها تعد خزانة من الألفاظ والعبارات الأردنية .

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار للدراسات الثقافية والأدبية – جامعة اليرموك

طرق أكثر أغراض الشعر العربي والذي احتوى تجارب حياته كما احتوى دراسات لعدد كبير من نماذج بشرية ومظاهر الطبيعة حيث يعد شعره وثيقة تاريخية كبيرة الأثر في البيئة الأردنية ، قدمها في سلسلة أفكار ومفاهيم إنسانية .

إن الحديث عن شعره يجب أن لا ينسينا ما قدمه في مجال الرثاء من صدق العاطفة وقوة التأثير في النفس وكان يصور الواقع ويذكر الأسماء ويصور الانفعالات والأحاسيس في صورة جعلت من شعره صرخة ألم مدوية في سمائه الممتد عبر مدينة إربد الخرزات كما سماها . دالا بذلك على ارتباطه الشديد بالشعب وحرصه على استقلاليته ومنعته لينعم بالأمن والاستقرار حيث يشير إلى الخرزة التي تكون بابا لبئر الماء الذي يوفر أهم الحاجات الأساسية للإنسان من أجل قوة الصمود ، ولم يقف عند مدينته فقط وإنما تجاوزها ليلامس الوطن كله عبر حدود الكلمات الحزينة

لقد تعلق الشاعر بمجموعة من حوله، ارتبط بهم ارتباطا روحيا عميقا، وكان فقدان أي منهم بالنسبة إليه كسقوط حبة عنب من عنقود حتى كان هو آخر حبة في العنقود.

كان صادقا في رثائه فظهرت عاطفته الصادقة من خلال قصيدته الطويلة مقارنة مع الموضوعات الأخرى، مما يدل على نفسيته الحزينة المتثاقلة التي تنسجم مع جو الحزن.

رثى الأم والأب والصديق والقريب وأصحاب المبادئ والقيم المثلى .

يرثي أمه فيقول:

كل ما في الوجود صورة أمي في غُدوي في يقظتي في حُلمي
طيفها ماثل أمام عيوني كلما أنذر الزمان بشؤم
فأراها بالباب ترقب طيفي وأراها في الهم تحمل همي

وفي رثاء والده يقول:

حم القضاء وشاءت الأقدار أن تخلو ممن قد بناها الدار

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار للدراسات الثقافية والأدبية – جامعة اليرموك

وتغيب عن خضر المرابع شمسها ويهزها التحنان والتذكار

ويكمل قائلا:

فإذا بسهم الموت يدمي خافقي وإذا الأماني بعده تنهار

شاد المآذن كي تردد نعيه ظهرا فتخشع من أسى أبصار

أبتاه كيف تركتنا ودموعنا سيل غداة تركتنا هدار!

ولا تخفى عنده النزعة الوطنية في غرض الرثاء ، وخاصة رثاء الأصدقاء ، يقول :

من لوعة ناح الصليـ ـب ومن أسى شحب الهلال

في الرافدين علا العويـ ـل وفي دمشق الدمع سال

وبمصر عم الحزن من عرفوه من أهل القنال

ويقول في صديق آخر:

سلوني عن بطولته سلوني عن السيف الصقيل ومن نضاه

سلو عنه المنابر والسرايا سلو عصيون يخبركم ثراه

سلو القدس الشريف سلو أريحا سلو صرح الأخوة من بناه

يعاتبه الصديق صاحب المبادئ الذي تركه ورحل بعاطفة حزينة مستنجدا باكيا :

رفيق دربي فيما قد رحلت ولم تأخذ بناصيتي فالدهر أشقاني

إني سئمت حياة لا وفاء بها ولا أناسا ذوي خلق ووجدان

خذني إليك فإن الموت أفضل من عيش الذليل وعسف المجرم الجاني

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار للدراسات الثقافية والأدبية – جامعة اليرموك

ويخاطب آخرا، فيقول:

أبا صقر ودنيانا سراب يخادعنا ونحن به نهيم

فصف لعرار واقعنا وإني على عهد الوفاء له مقيم

يستخدم لغة الحوار مع المفقود ويحاوره ويستغيث به مبينا ما آل إليه حال الأمة من ضعف وهوان ، يقول:

أيا بطل المكبر قل لو صفي وأنت تغذ السير كي تراه

بأن ربوعنا أمست يبابا وأن العرب قد ظلوا وتاهوا

وبعدك يا صلاح الدين أضحى يروض القدس دايان وياهو

تهاوى النسر واستعلت بغاث ونام الذئب فاستعلت شياه

أما من الناحية الاجتماعية فلم يكن شعره أقل شأنا من شعر الرثاء فقد أحس مصائب الأمة وهمومها وكانت من أبرز القضايا الاجتماعية التي تناولها، وصف ما يعكر صفو الناس وحياتهم .

يقول

كل مافي الحياة أمسى طلاسم فيلسوف يحار فيها وعالم

سئمت الوجود مادام فيه مستبد وللرعية ظالم

ووصف الموظفين الذين يسلبون الفقراء حقوقهم ويستغلون الطبقة الكادحة من الشعب قائلا:

فما بعت أطنان الطحين لأبتني قصورا ولا من سكر صرت بالغني

فقل لأولاء الشامتين بأنني أبي شريف لا ألين وأنحني

سوى لإله الكون ثم لأردني

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار للدراسات الثقافية والأدبية – جامعة اليرموك

واستجار بالملك الحسين رحمه الله قائلا:

أحسين إنا أمة علمتها أن لا تذل وأمة لا تخضع

لا تقطعن ذنب الأفاعي وحده فرؤوسها أولى إذا هي تقطع

ووصف حالات الفقر بعاطفة حزينة حيث يقول في وصف متسولة:

نظرت إلي بمقلة حيرى وتنهدت فأذابت الصخرا

مدت يدا والعين ذارفة دمعا تكفكفه اليد الأخرى

هجرت مغاني أرضها وغدت بعد النعيم تصارع الفقرا

و يوصي ابنته قائلا:

يا فتاة الطهر أوصيك بما فيه جبريل على الهادي نزل

فسلاح الخلق درع حافظ وثياب الطهر من أبهى الحلل

وهو لا يستنكر على الأمة العربية تقاعسها عن مقاومة الاحتلال الاستعمار بل يبدو أحد رجالات المقاومة الثائرين الذين انخرطوا في صفوف المقاومة ، لذلك جاءت عباراته قوية مدوية في كثير من قصائده الوطنية ، فنادى بالوحدة الوطنية قائلا :

من ينادي بمبدأ التقسيم غير علج ... ومجرم وزنيم

وطن واحد وشعب سداه حيك من عزم لاجئ ومقيم

كما تحدث عن ما عكر صفو الأمة وهضم حقوقها فوصف وعد بلفور قائلا :

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار للدراسات الثقافية والأدبية – جامعة اليرموك

يا يوم بلفور قد قرحت أجفانا وقد ملأت ديار العرب طغيانا

من كان يحسب أن العرب يخدعهم من كنت تحسبهم للعرب أخدانا

أو كان يرقب غدر الأصدقاء بهم من زخرفوا الوعد أشكالا وألوانا

مفرق الشمل لن تلقى بأربعنا لما تنادي به سمعا وآذانا

واستبق ما سيحدث للأمة العربية فبكى الواقع العربي الحزين :

يهدد بعضكم بعضا بحيش ويمعن في النكال وفي الوعيد

فكيف لنا الصمود وقد ظننتم بأنواع السلاح على الجنود

وجدتم بالهبات وبالعطايا كأنكم برامكة الرشيد

وصار النفط ينبع في فرنسا وفي الحانات من بين النهود

ثم نراه يستنكر آفة النفاق فندد بالنفاق والمنافقين:

لقد سئمنا حياة ملؤها دجل وقد لمسنا وجود السم في الدسم

وقد كفرنا بأشباه الرجال ومن أمسى يدجل باسم البيت والحرم

وعلى منوال الشاعر عرار يفر من الواقع الأليم إلى حياة العدالة في الخرابيش كما سماها :

إلى الخرابيش مع صحبي وندماني غذذت سيري لاواه ولا واني

لا سوق فيها إلى أهل النفاق ولا مدجل أو زعيم بات ذا شان

هنا الحياة كما قد شئتها فطرت على السذاجة من حب وتحنان

إلى الخرابيش ولنترك قضيتنا لمعشر ثملوا من خمر لوزان

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار للدراسات الثقافية والأدبية – جامعة اليرموك

باعوا البلاد وقد أعمت بصائرهم وظلّلت سعيهم أصوات رنان

كما شارك الشعب البكاء ووصف معاناتهم قائلا :

أيها الشعب الذي أودت به نكبات لست أحصيها عدد

كلما استيقظ من كبوته داهمته كبوة منها أشد

ثم تدب الحمية في جسده مرتعشا مستبشرا وتشتد عروقه مستنهضا الشعب :

ألا يا لقومي أين الهمم وأين الإباء وأين الشمم

وأين الليوث ليوث الحمى وأين الأبي الذي لم يضم

وأين الرجال كبار النفوس وأين الشهادة تحت العلم

مبينا أن النصر بالفعل لا بالقول :

كذا بالبيض والسمر الغوالي كذا بسيوفنا لا بالجدال

لتنتهي معاناته بالوطنية التي يغنيها ويطرب لها يتغنى بالوحدة العربية ويصور نماذج من أشكالها ، قائلا :

تنادى العرب من حدب وصوب ومن أقصى الشمال إلى الجنوب

وقد نشروا الزؤام على الدروب فخذ يا غرب درسا من كلوب

سأهتف بالعروبة أنت ديني صمدتِ فكنت عالية الجبين

ومن الموضوعات التي استحوذت على عاطفة الشاعر و تلاقحت مع العبارة الشعرية وانسكبت بقالب جديد يكشف عن شاعرية عفوية مطبوعة ما سماها (رباعيات النكبة) حيث ذكر الشاعر عشرين عنوانا وكتب تحت كل عنوان أربعة أبيات عن نكبة العرب في فلسطين بموضوعات متعددة القوافي يكمل بعضها بعضا في المعنى والقصد .

يبدأها بعنوان نداء فيقول :

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار للدراسات الثقافية والأدبية – جامعة اليرموك

١ ـ نداء

أمتي أمتي دجا الليل حتى بتَّ أرجو لذلك الليل فخرا

أمتي أمتي رُميتِ بسهم شل منك الفؤاد ظلما وغدرا

وتحت عنوان ٢ـ الحياة للأقوياء

أمتي والحياة للأقوياء لا لشعب ممزق الأشلاء

٣ـ سيوف في الأغماد

مهد عيسى مسرى النبي محمد ومقام الخليل كلُ مهدد

٤ـ دعاء نوح

ربِّ إني دعوت قومي سرا ثم إني دعوت قومي جهارا

٥ـ أردني

أردني أردني عهدتك صامد إن تنادوا وأنت أنت المجاهد

٦ـ صرخة ضاعت

كم دعونا إلى التضامن جهرا صرخات ضاعت بأعمق وادي

٧ـ سادة أم أتباع

٨ ـ يافلسطين

يافلسطين سال جرحك وجرح فمتى يوقظ الضمير فيصحو

٩ ـ سفر الصمود

أيها اللاهثون خلف السراب أيها القانعون بالألقاب

١٠ ـ عرب أم يهود

١١ـ قمة فاس

١٢ـ خطة ريغان

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار للدراسات الثقافية والأدبية – جامعة اليرموك

١٣ - أريحو ا واستريحوا

أيها المدعون حمل القضية أيها السادرون في العنجهية

١٤- النفور

قد نفرنا من غابنا أبطالا وخفافا إلى الوغى وثقالا

١٥- قلعة الكبرياء

علمتنا قوافل الشهداء أن بيروت قلعة الكبرياء

١٦- إلى القدس بعد بيروت

من ينادي بمبدأ التقسيم غير علج ومجرم وزنيم

١٧- هذه بيروت

إخوة الدرب هذه بيروت في ثراها نحيا ونموت

١٨ - قلعة الشقيف

يالصيدٍ تسابقوا للحتوف من بني تغلب وأسد ثقيف

١٩- يا أحباء

يا أحباء من بني عدنان في ذرا الأرز أو بني عدنان

إلى أن يختم الرباعيات تحت عنوان

٢٠- ضياع

نحن في غيهب الضلالة ضعنا وسمعنا لكننا ما أطعنا

وشربنا الهوان كأسا دهاقا ورضعنا الإذلال حتى شبعنا

وهجنا الكتاب نصا وروحا وعشقنا الإلحاد لفظا ومعنى

ثم نرجو من السماء جنودا تدفع الضيم والمذلة عنا

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار للدراسات الثقافية والأدبية – جامعة اليرموك

وجميع ما حصلت عليه من أشعار وأخبار وأوراق الشاعر أحمد الشرع من أبناء الشاعر فتتمثل في :

١- مخطوطة الديوان بخط يد الشاعر
٢-

مجلة الأفق الاقتصادي، العدد التاسع في الخامس والعشرين من الشهر الخامس عام ألف وتسعمئة واثنين وثمانين عدد ٩، تاريخ ٢٥/ ٥/ ١٩٨٢

مجلة الميثاق، ٥/٨/ ١٩٥١

صحيفة الدستور الأردنية، عدد ٦٨١٦، تاريخ ١١/ ٨ / ١٩٨٦ وعدد ٦٧٥٥ تاريخ ١١/ ٦ / ١٩٨٦

صحيفة الشعب الأردنية، الأعداد ١٢٣٦ تاريخ ٢٠/٧/ ١٩٨٦

والعدد ١٢٩٨ تاريخ ٢٣ /٩ / ١٩٨٦

صحيفة اليرموك الأردنية عدد ١٠٢ تاريخ ٢٧ /١٢ / ١٩٨٦

صحيفة الجمهورية العراقية تاريخ ٢٤ / ٩ / ١٩٨١

صحيفة اللواء الأردنية، الأعداد ٤٦٣ تاريخ ١٣ /١ / ١٩٨٢ الى العدد ٧٣٤ تاريخ ١٠ / ٦ / ١٩٨٧. نشرت في اثنين وعشرين عددا ٢٢ عدد

أضافة إلى عدد من الشخصيات التي عرفت الشاعر عن قرب كأمثال الأستاذ الدكتور نبيل حداد.

أما رسائله وما كتب حوله فهو موضوع آمل أن استكمله مع أبنائه قريبا .

لكم مني ومن مديرية تربية الطيبة والوسطية كل الشكر والعرفان على إتاحة الفرصة والتعاون في المشاركات الثقافية والأدبية وإبراز سير

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار للدراسات الثقافية والأدبية – جامعة اليرموك

المبدعين، آملين أن تستمر جسور التعاون وتتوسع بين المؤسسات التعليمية التي تكتنز طاقات إبداعية تحتاج لنصحكم ورعايتكم ومتابعتكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أوراق محمود المطلق قناه

(1976 – ١٩١٨)

إعداد : د. عيده مصطفى المطلق قناة

بادئ ذي بدء أود أن أحيي جامعة اليرموك الغراء على إنشاء كرسي عرار للدراسات الثقافية والأدبية .. وأن أهنئ الأستاذ الدكتور نبيل حداد لإشغاله هذا الكرسي متمنية له التوفيق في رحلة الإبحار عبر هذا البحر اللجي بكل ما يكتنفه من تحديات !

إن جمهور الثقافة الأردنية ليتطلع بأمل إلى أن يملأ هذا الكرسي فراغا ظلت تعاني منه الساحة الثقافية .. ونحن على ثقة أن هذا الفراغ سيكون من أهم أولوياته .. وأن فرسان هذه الساحة سيتوجهون للبحث الميداني المضني وسوف يسافرون في مجهول قد احتوته ربما صناديق مهترئة ، أو أوراق باهتة ربما فتكت بها الأرضة ، أو في مكتبات الموتى إن أبقى الورثة لهم من مكتبات !!

كما أننا على ثقة أن هذا الكرسي سيتولى التوثيق والجمع والتدقيق وسوف يشجع الدراسات المعمقة في هذا التراث المهدد بالانقراض بسبب الاهمال والنسيان والضياع والغياب والتغييب.. أو التلف وتزاحم الأولويات !!

خاصة وأننا أمام حالة من غياب الوعي وتغييب اللازم بهوية الأمة وثقافتها وعوامل تجذرها وصمودها !

حين تفضل الأخ الكريم الأستاذ الدكتور نبيل حداد بالاتصال بي ليخبرني بعزم الكرسي على عقد ندوة تتناول ثلاثة من شعراء اربد الراحلين الذين لم ينالوا حظا من عناية المؤسسات الثقافية .. والذين ربما ضاع تراث بعضهم..!

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار للدراسات الثقافية والأدبية – جامعة اليرموك

كان هذا الاتصال مفاجأة سارة لي رغم ما ساورني من مخاوف وارتباك - قلما يصيبني في مثل هذه المناسبات - وذلك لعلمي - على الأقل - بالمصير الغامض الذي آلت إليه أوراق – محمود المطلق قناة - أحد المستهدفين اليوم بهذه الندوة !

وحين رويت له ما أعرفه من شجون .. لمعت في ذهنه المتقد فكرة مميزة مفادها أن تكون الورقة التي أعدها بمثابة شهادة تتعلق بتلك الرحلة العبثية التي قطعتها أوراق محمود المطلق قناة فاقترح أن تكون ورقتي شهادة بعنوان (أين أوراق محمود المطلق قناة) .. فقبلت هذا التحدي يحدوني الأمل بأن يأتي هذا الكرسي برئاسته المخلصة للثقافة والإبداع ولمثقفينا ورواد ثقافتنا بشيء من الإنصاف !!

تشتمل هذه الشهادة أربعة محاور :

المحور الأول : من هو محمود المطلق

المحور الثاني : محمود المطلق الإنسان والمثقف

المحور الثالث: أوراق محمود المطلق : بين المعلوم والمجهول

المحور الرابع : مقتطفات من شعر محمود المطلق

أولا : من هو محمود المطلق

هو الولد التاسع والابن الرابع من بين أحد عشر ولدا للحاج مطلق عمر قناة.. الذي كان قد قدم في بداية العقد الثاني من القرن العشرين الماضي من درعا (سوريا اليوم) إلى اربد بصفته موظفا عثمانيا آنذاك .. ولعل من المناسب الإشارة إلى أنه أثناء الحكم العثماني الذي امتد أربعة قرون من (٩٢٣هـ -١٣٣٧هـ) و (١٥١٦م -١٩١٨ م) ، كانت بلاد الشام قد قسمت إداريا إلى تقسيمات أطلقوا عليها عدة تسميات عبر مراحل الإدارة (سناجق / إيالات / ولايات) كان منها سنجق عجلون الذي أتبعته الحكومة العثمانية مباشرة لاستانبول منذ عام (١٥٩١م). ثم استبدلت السناجق بالايالات فكانت شرقي الأردن تتبع لإيالة (ولاية) "شام شريف".

في عام ١٩١٤ م ، (وأظن أنها السنة التي جاء بها مطلق قناة إلى اربد) كان سنجق عجلون يضم مركز درعا ، ونواحي إزرع ، وبصرى الشام ، والسويداء ،

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار للدراسات الثقافية والأدبية – جامعة اليرموك

وعجلون ، والمسمية . بمعنى أن شمالي الأردن المعاصر كان يتبع منطقة حوران [١].

في هذه المنطقة الجغرافية ولد محمود المطلق عام ١٩١٨ . وعند قدومه إلى هذه البقعه من الولاية / السنجق أقامت العائلة في مدينة اربد .. ثم انتقلت إلى بلدة المزار الشمالي لفترة من الزمن - لا أعلم كم امتدت - وبنت لها بيتا واسعا في المزار وأقامت مزرعة من حوله .

وبعد فترة من الزمن – ويبدو لتسهيل شؤون المعيشة أو للاقتراب من مدارس الأولاد - عادت العائلة لتستقر في اربد .. وأنشأت لها بيتا ما زال بعض أجزائه قائما في منطقة تل اربد / شارع علي خلقي الشرايري .. !

في مواسم الصيف كانت العائلة تنتقل إلى المزار في مواسم الحصاد وجمع الغلال .. وبعد وفاة الحاج مطلق قناة استمرت (الزوجة / الوالدة / الجدة عائشة الشاهين) في القيام بهذه المهمة حتى وفاتها.

تلقى محمود المطلق تعليمه الابتدائي في مدرسة الحصن حيث كان الطلبة حينذاك يذهبون إلى المدرسة مشيا على الأقدام .. وأكمل المرحلة الابتدائية في اربد ثم انتقل إلى مدينة السلط ، ليواصل تعليمه في مدرستها الثانوية .. تخرج منها بتفوق بل في المرتبة الأولى عام ١٩٣٩م !.

وفي هذا السياق روى لي – رحمه الله - موقفا اعتبرته من طرائف الإدارة الأردنية حين سألته عن أسباب عدم إيفاده في بعثة إلى الخارج كعادة الأردن - في ذلك الزمان- مع الأوائل والمتفوقين .. أفادني بأن الحكومة الأردنية كانت – لظروفها المادية الصعبة – توفد من حصل على المرتبة الأولى من الخريجين . إلا أنه في عام ١٩٣٨ تخرج من مدرسة السلطة (٢٥) طالبا .. فأوفدت الوزارة في ذلك العام الثلاثة الأوائل دفعة واحدة وهؤلاء هم على الترتيب (خليل السالم ، وحمد الفرحان ، ووصفي التل - عليهم رحمة الله -). وعندما تخرج محمود المطلق عام ١٩٣٩ كان مقعد البعثة لهذا العام مشغولا من قبل الموفدين الثلاثة في العام الذي سبقه..

[١] عدنان البخيت وجان _بول باسكوال . "العصران الإسلامي والعثماني (629 ق.م. - 1918)" (بلاد شرقي الأردن في مطلع العهد العثماني : ص ١٨٨-١٩٧)

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار للدراسات الثقافية والأدبية – جامعة اليرموك

بعد حصوله على الشهادة الثانوية عين محمود المطلق في ديوان وزارة المعارف الأردنية ، ثم عمل في التعليم في مدارس السلط الحصن واربد والعقبة وكفرنجة وغيرها ؛ ثم عمل مديرا لمدرسة الحصن .. وما لبث أن استقال من التعليم بسبب إشكالية مع ناظر المعارف في حينها (سمير الرفاعي) (لا تسعفني الذاكرة برواية الحادثة التي كان يذكرها على سبيل التندر) .

بعدها قصد دمشق والتحق بكلية الحقوق في الجامعة السورية ، غير أنه بعد انقضاء عام على دراسته ترك الجامعة عائدا إلى الأردن لتعرضه إلى " لطمة كف" على الوجه من قبل جندي سنغالي من جنود المستعمر الفرنسي آنذاك !!.

وبعد عودته من دمشق تقدم لامتحان كانت تجريه وزارة العدل الأردنية للراغبين في الحصول على إجازة المحاماة ، فاجتاز الامتحان بتفوق . وحصل على إجازة مزاولة مهنة المحاماة .. ومارسها وعمل بها من خلال عدة مكاتب افتتحها في (اربد وعمان وعجلون) .. ومن المناسب الإشارة إلى أنه كان شريكا للشاعر مصطفى وهبي التل (عرار) في مكتب المحاماة في عمان ولمدة عام.. مالبث عرار أن غادر المهنة ليلتحق بالوظيفة العامة ..

أحب (محمود المطلق) مهنة المحاماة واستمر بمزاولتها لأكثر من ثلاثين عاما (منذ عام ١٩٤٤ حتى وفاته مطلع عام ١٩٧٦).
مارس العمل السياسي كناشط ومناضل.. وترشح للانتخابات النيابية في عام ١٩٥٤.. ولكن لم يحالفه الحظ .. وعلى إثرها تعرض للاعتقال والنفي ، وظل عرضة للسجن والملاحقة والتنقل بين سجون المملكة ومعتقل الجفر الصحراوي ، كان آخرها في أعقاب أحداث ١٩٥٧ التي (عرفت بأحداث حلف بغداد).. إذ جرى حل حكومة سليمان النابلسي (التي كانت أول حكومة حزبية برلمانية تعددية في تاريخ البلاد السياسي).
بعد ذلك خضعت البلاد لقوانين الطوارئ والأحكام العرفية لأكثر من ثلاثة عقود حتى عام ١٩٩٠ لتكون المرحلة العرفية الأطول في تاريخ الأردن السياسي. شهدت البلاد خلالها انتكاسة كبيرة في الحريات العامة وازدادت حدة التضييق على العمل الحزبي بل وشيطنته ليصبح في أذهان الجماهير رجس من عمل الشيطان !

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار للدراسات الثقافية والأدبية – جامعة اليرموك

ونظرا للتضييق على المناضلين والسياسيين والحزبيين وتكرار نفيهم واعتقالهم – وغير ذلك من مقتضيات حالة الأحكام العرفية- اضطر محمود المطلق ومعه العشرات من نظرائه السياسيين إلى اللجوء إلى دمشق .. وعمل أثناء ذلك اللجوء محررا في إحدى الصحف السورية ..

وبعد أن شكل وصفي التل - رحمه الله - حكومته الأولى عام ١٩٦٢م ما لبث أن عاد معظم - إن لم يكن جميع - اللاجئين السياسيين إلى الوطن ثانية وفي مقدمتهم محمود المطلق ، فعاد مرة أخرى إلى مهنته وكتاباته التي لم ينشرها في حياته !!

من أهم أعماله الأدبية قيامه بجمع وتنقيح وتصنيف تراث مصطفى وهبي التل الشعري وإخراجه في كتاب (عشيات وادي اليابس) مع دراسة نقدية تحليلية لحياته وشعره .. مع التركيز على أهم المحطات المفصلية في سيرة ومسيرة عرار وخاصة المحطات التي ترتبط بتاريخ الأردن وتطوره السياسي ومواقفه السياسية والنضالية!

فكانت هذه العشيات – وما زالت - المرجع الأصيل والوحيد لجميع الدراسات التي أجريت في ما بعد حول (تراث عرار الشعري)!

ثانيا : محمود المطلق الإنسان والمثقف

لمعرفتي الشخصية به وقربي منه ، ربما أستطيع وبدرجة لا بأس بها من الثقة أن أقول بأنه صاحب شخصية مركبة ومتعددة السمات .. إلا أن السمة الأكثر حضورا في شخصيته كانت السمة الإنسانية الرحبة.. على أنني أستطيع أن أضئ على بعض هذه السمات دون أن أزعم بأنني سأفيها حقها!

أ. **في النضال الوطني : كان مدافعا عن الحرية والكرامة الإنسانية؛ وفي هذا الجانب صبر على الأذى كثيرا رغم شدته. وما زالت صورته وهو في سجن المحطة حية في ذاكرتي حين كان يقبل علينا هزيل الجسم ولكنه قوي الشكيمة واسع الابتسامة!**

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار للدراسات الثقافية والأدبية – جامعة اليرموك

ب. في السياسة : يمكن أن أصنفه بالمعارض اليساري .. الوحدوي العروبي حتى العظم !

ج. أما عن نشاطه الصحفي : فقد كان من الشخصيات الثلاثة الذين أصدروا صحيفة الميثاق (وهم الأساتذة شفيق إرشيدات وضيف الله الحمود ومحمود مطلق قناة خلال الفترة من ١٩٤٩-١٩٥١م) وفي عام ١٩٥٥م أصبحت صحيفة الميثاق هي الناطقة باسم الحزب الوطني الإشتراكي بإشراف (الأساتذة سليمان النابلسي وعبد الحليم النمر العربيات ونعيم القسوس).. وظل محمود المطلق من كتابها ومحرريها إلى أن ألغي ترخيصها في ١٩٥٧/٥/٤م (أي عند حل الأحزاب وإعلان حالة الطوارئ ودخول البلاد المرحلة العرفية الأطول في تاريخها)!

- أما بالنسبة لصحيفة الرائد.. فقد أصدرها وترأس تحريرها المحامي أمين أبو الشعر النمري في (١٩٤٠/٦/٢٠م) كصحيفة مستقلة سياسية أدبية اجتماعية .. ثم في عام (١٩٤٥م) تحولت إلى صحيفة حزب الشعب الأردني الذي كان يتزعمه عند تأسيسه في عام (١٩٢٧م) الأستاذ هاشم خير ، ثم آلت زعامة الحزب في مرحلة لاحقة إلى السيد عبد المهدي الشمايلة وأناط رئاسة تحريرها بالأستاذ أمين أبوالشعر ..
- في هذه الصحيفة كان محمود المطلق يكتب وينشر بعض مقالاته وأشعاره .. وقد وقعت في أيدينا قصيدة "في الحلم " التي نشرتها صحيفة الرائد في عددها الأول الصادر بتاريخ ١٩٤٥/٦/٢٠م (أي عندما تحولت الرائد إلى صحيفة حزب الشعب الأردني)..
- ولكن لم يطل العمر بالصحيفة إذ قامت الحكومة بإغلاقها إثر صدور قرار بحل الحزب في عام ١٩٤٨ م .. انتقل بعد ذلك زعماء الحزب إلى دمشق واستمروا في إصدار "الرائد" حتى عام ١٩٤٩م.

د. أما على الصعيد المهني فقد كان محامياً جريئاً ، لا تأخذه في الحق لومة لائم .. يتمتع بحس مرهف وجذري بالعدالة ..إلى جانب حس قانوني رفيع المستوى ، حيث الدقة في قراءة النصوص وتفسيرها .. بحثا عن حق تائه هنا أو مخرج لمظلمة هناك.. أو حل يكمن بين السطور .. و كان شديد

الحقوق محفوظة لدي كرسي عر
التحرير : د.أحمد أبو دلو | جمع وتنسيق

الإنحياز للكادحين والمسحوقين والفقراء (أطلق عليه الأستاذ الأديب هاشم غرايبة لقب محامي الطفرانين)!

هـ. على صعيد علاقاته بالآخر: لم يكن يوما ليتخذ موقفا من أحد وفق القوالب الجاهزة ، أو الإشاعات أو الأحكام المسبقة.. ومع كل ذلك كان صريحا جريئا مباشرا في تسمية الأمور بأسمائها دونما مواربة أو مجاملة . !

و. على الصعيد الثقافي : كان قارئا نهما ومثقفا نوعيا واسع الثقافة والاطلاع و القراءة في التراث العربي والإسلامي وفي الفلسفة .. ويحفظ الكثير من القرآن الكريم. . وعلى معرفة واسعة وعميقة في الإنجيل والتوراة.. ويحفظ طيفا واسعا من الشعر !..

- **كان شاعرا وفنانا .. حاضر البديهة .. لمّاحا ومتّقد الذكاء .. شفّافا مرهف الإحساس .. تأسره النغمة والكلمة الحلوة .. رافضا كل ما تتعرض له الأمة من ألوان الظلم والقهر والاستبداد.. إذ حملت معظم قصائده لمسات إنسانية عميقة إلى جانب الهمَّ القومي والوطني .. أما لغته فرشيقة يسرة .. وأدبه واقعيا هادفا .. ورسالته إنسانية !**
- **إلا أنه - غفر الله له – لم يولي إنتاجه الشعري والفكري عناية خاصة باتجاه جمعه وتنسيقه وترتيبه وطباعته في حياته .. رغم أنه لم يتعامل بهذه النفسية مع تراث عرار بل كان شديد الحرص جمعه وتصنيفه ودراسته ونشره !!**

ز. وأما على الصعيد الشخصي والعلاقات الاجتماعية: كان محبا للناس.. ومتحدثا لبقا.. لطيف المعشر.. حيّيا.. يتمتع بإحساس راق في التعامل مع الناس.

ح. كان عاشقا للطبيعة .. تحلو له الخلوة في أحضانها .. لدرجه أن هذا العشق دفعه إلى أن يباشر إنشاء أو حفر مغارة (كهف) أرادها أن تكون صومعة يخلو فيها لنفسه .. ولكن الطبيعة عاندته .. وباء هذا المشروع بالفشل بسبب الانهيارات المتكررة التي كانت تتعرض لها الحفريات التي استمرت سنين طويلة دون ملل ؛ فاضطر مكرها لإيقاف هذا المشروع بعد أن استنزف الكثير من المال والوقت !

- **كان حرا بطبيعته وبنائه النفسي لا يطيق القيود بكل أشكالها .. وهذا قد يفسر رفضه للعديد من المناصب الرفيعة التي عرضت عليه .. وعندما**

الحقوق محفوظة لدي كر...
التحرير : د.أحمد أبو دلو | جمع

تسأله عن السبب في هذه السلبية كان يرد (لا أطيق أن يمر علي يوم أضطر فيه لتنفيذ قانون غير دستوري .. أو الخضوع لأمر أو توجيه لا يتوافق مع مبادئي وقناعاتي ..

- فعلى سبيل المثال – عرفت من أصدقائه أن الشهيد وصفي التل عرض عليه وظيفة (مدير عام للمطبوعات والنشر) وهي وظيفة ربما ظن وصفي أنها مناسبة لمهاراته وهواياته فرفضها .. وحين سألته عن أسباب الرفض أجابني : (إنها وظيفة لمن يقبل أن يكون مقصا أو ساطورا يقطع كلمة غاضبة هنا أو فكرة رافضة هناك .. فهم يريدون مني أنا أن أكون مقصا أو جلادا للكلمة .. وسجانا للحرية .. ومحرقة للكتب) !

خلاصة القول أن محمود المطلق ينتمي لجيل مختلف تماما عما نعرف .. جيل يحترم الإلتزام بالمبادئ والقيم .. يأبى أن يهدرها على مذبح المصالح الشخصية عند أي فرصة أو سانحة !

جيل برز فيه محمود المطلق وصحبه قامات وطنية صلبة ، و فارسا في مجالات النضال السياسي والحقوقي والثقافي والوطني .. وعلما من أعلام محافظة اربد ومثقفيها وشخصياتها الوطنية !

ثالثا : رحلة أوراق محمود المطلق بين المعلوم والمجهول

حين داهمة المرض كثيرا ما كنت أسأله عن أوراقه كان يكتفي بالرد بأنها موجودة وقريبة وسهل الوصول إليها .. وحين اشتد عليه المرض فقد قدرته على الكلام .. أخذ يخاطب من حوله كتابة .. وكثيرا ما كان في هذه الكتابات يحلق في عوالم البوح الإنساني والفلسفة .. أو يلمح لمعاناته دون شكوى أو تبرم .. بل ظل على قيد الصبر والاحتمال حتى النهاية .. وكثيرا ما كانت تلك الكتابات تحمل تعليقا أو رأيا أو استفسارا أو توضيحا لما كان يدور من حوله من أحاديث ومناقشات أو ما يرويه الزائرون من أخبار وقصص وطرائف ربما يعرفون أنها تسعده وتهمه.. وأحيانا كان يعبر بهذا الكتابات عن خاطرة ، أو طرفة أو مزحة أو نكتة لطيفة يشارك بها من حوله !

ويمكنني أن أصف تلك الكتابات بلغة العصر بالتغريدات .. إذ كانت عبارات قصيرة مكثفة محملة بكثير من الشجون .

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار

وما أن فاضت روحه إلى بارئها ليلة ١٩٧٦/١/٦م حتى غص البيت بالصحب والأهل والأصدقاء .. فكان من أوائل الواصلين المرحوم (مريود مصطفى وهبي التل / ابن الشاعر مصطفى وهبي التل - عرار) . الذي أبدى قلقا كبيرا على تركة المرحوم من أوراق وكتابات .. وعبر عن رغبته الكبيرة في أن يتولى أمرها .. والوفاء لمحمود المطلق بالعناية بتراثه الثقافي والشعري، وتعهد بأن سيقوم بتكليف أفضل الكتاب للعمل على هذه الأوراق توثيقا وتصنيفا وتدقيقا وتحريرا وتحليلا ودراسة ومن ثم إخراجها وإصدارها في (دواوين شعرية .. و كتابات نثرية .. وأقوال ومأثورات.. ودراسات نقدية) !

كان له ما طلب احتراما وثقة من (آل قناة) بأبناء عرار الكرام . فتم تسليم (مريود التل) كل ما كان موجودا في البيت .. من أوراق ومطبوعات حتى تلك الأوراق والقصاصات التي كتبها وهو على فراش المرض .. والتي أسميتها بالتغريدات وهي كثيرة !

ولا بد في هذا السياق من التنويه بأنه حين وفاة (محمود المطلق) كان جميع أولاده صغار السن إذ كان أكبرهم (صخر) في السنة الأولى في طب جامعة البصرة في العراق ! أما البقية فكانوا على مقاعد الدراسة الثانوية والإعدادية والابتدائية .. أي لم يكونوا على وعي أو إدراك كاف بأهمية ما خلفه والدهم من تراث وإنتاج أدبي وفكري ، ولم يدركوا حينها معنى أن يضيع هذا التراث في الأدراج فتضيع هذه الشخصية المميزة في غياهب النسيان ..

كما لا بد من الإشارة إلى أن هناك جانب بسيط من خواطر وأشعار كان – رحمه الله - يطلقها في جلساته الحميمية مع الصحب والأقارب .. ويبدو فيها أنه كان يتخفف من كثير من القيود الفنية والتعبيرية فيطلقها كما ترد في خاطره في تلك اللحظة .. بعض من جلسائه كان يكتب ما يلتقطه أو ما يستهويه منها .. يكتبها كيفما اتفق دون مراجعتها مع صاحبها مباشرة .. ومن هؤلاء الذين عايشوه فترة طويلة في عمان ودوّن شيئا من هذه الأشعار والخواطر كان شقيقي (أحمد مصطفى مطلق قناة) . وهذه عباره عن بوح حر في لحظة إنسانية بما تحمله تلك اللحظة من شجن أو ثورة أو غضب.

في هذا الجزء من الأوراق يمكن القول أن فيها ما هو صالح للنشر، وفيها ما يحتاج إلى بعض التنقيح !

انتظرنا طويلا لنرى الأوراق التي استحوذ عليها (المرحوم مريود التل) وقد أنجزت وخرجت إلى النور !

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار

وبينما نحن في هذا الانتظار الممل كان (محمود المطلق) هدفا للباحثين والدارسين والمهتمين بالثقافة الأردنية .. فمنذ وفاته وحتى اليوم راجعني – شخصيا- الكثير من الكتاب والمهتمين ومن طلبة الدراسات العليا في الماجستير والدكتوراة ممن اختاروا محمود المطلق موضوعا لدراساتهم ورسائلهم بحثا عن أوراق أو دراسات أو حتى معلومات تعينهم في دراساتهم !

وكنت كلما راجعني أحدهم تنتابني حالة من الأسى والشعور بالغبن والتقصير .. فعزمت على أن لا أترك الأمور على ما هي عليه وقررت أن أبدا بنفسي متابعة أمر الأوراق مع مريود التل ومطالبته بأن يسمح لنا على الأقل باستنتساخ الأوراق التي استحوذ عليها!!

راجعته اكثر من مرة وفي كل مرة كان يعدني بأن الأوراق قيد الدراسة وستخرج في أقرب فرصة ممكنة ..ويؤكد في كل مرة بالحرف بأنه "أولى الناس برد الجميل لمحمود المطلق"!

في إحدى تلك المراجعات ذكر لي بأنه سلم جميع الأوراق إلى (المرحوم ناهض حتر) لثقته بقدرته وكفاءته الكتابية والتحليلية وخبرته في العمل على مثل هذه الأوراق والمشاريع .. ونوه بأن ناهض من الشخصيات الوطنية صاحب مشروع ثقافي أساسه إحياء وتأصيل وتوثيق الثقافة الأردنية .. فضلا عن قدرته التحريرية والتحليلية وبالتالي فسوف تخرج هذه الأوراق بالشكل الذي يليق بها وبكاتبها!!

ومع إلحاحي المتواصل وإصراري على الحصول على نسخة من هذه الأوراق باعتبارها حق من حقوق العائلة .. أكدت لـ(مريود التل) مرارا بأن لدينا في العائلة من هو / هي مؤهل / مؤهلة للعمل على الأوراق وإجراء بعض ما يلزم بشأنها .. مع الحرص على أن لا تتعارض جهود أي من أفراد العائلة مع المهمة التي كلف بها (ناهض حتر) !!

ومع الإلحاح وتكرار المراجعات رتب لي موعدا مع ناهض حتر .. فقمت بزيارته واصطحبت معي ابني (لؤي عبيدات) لمعرفة ومودة تربطهما معا.. وعبرت له صراحة ومباشرة عن حقنا و رغبتنا في الحصول على الأقل على نسخة من هذه الأوراق ..

أكد لي – وأنا أثق بذلك - بأنه اشتغل على هذه الأوراق فرزا وتقييما وتصنيفا واستهلك في هذا العمل وقتا طويلا .. واستطاع أن يفرز مجموعة شعرية ممتازة وأن يعدها للنشر.. [ولأمانة هذه الشهادة لا بد من الإشارة إلى أنه ذكر رقم

الحقوق محفوظة لدي كرسي

(١٥٠) ولكني لم أعد أذكر بالضبط هل قصد ١٥٠ قصيدة .. أو أن هذه القصائد يمكن أن تصدر في ديوان من (١٥٠ صفحة)] إضافة إلى مجموعة من الكتابات في النقد والأدب والتحليل السياسي ، والآراء الاجتماعية والفكرية والسياسية ، يمكن أن تجمع في كتاب آخر! واضاف بأن هناك بعض الكتابات القصيرة تستحق النشر يمكن أن تصدر في كتاب قد يكون بعنوان توقيعات محمود المطلق!

طلبت منه أن يسمح لي بتصوير هذه الأوراق .. وذكرت له أن لدى رغبة شخصية واستعدادا للكتابة عن (عمي) .. وهذا أمر غير ممكن بدون أن يكون بين يدي شيئا من أعماله وأوراقه .. وحتى لا أثير حفيظته أكدت له بأنني احترم حقه في ملكية ما قام به من جهد في التصنيف والفرز وأنه لا يمكن لنا أن نسلمها لأحد – كائنا من كان - إلا بعد استئذانه وموافقته الشخصية والموثقة خطيا .

رفض - سامحه الله - أن يعطيني أي ورقة.. ولكنه وعدني بأن يصور لي ملفا فيه بعض الأوراق قد تكون مفيده لي .. وحين أسقط في يدي قبلت هذا العرض .. وعدت بعد أسبوع لتسلم الملف .. وحين تفحصته جيدا .. لم أجد في شيئا يمكن أن يقرأ ، بل كان يحتوي على صور مستنسخة لأوراق تالفة – ربما كانت مكتوبة بقلم رصاص – انمحت معالمها مع الزمن .. وعند الاستنساخ / التصوير لم يظهر منها حرفا واحدا !.

واليوم وقد مضى على وفاة محمود المطلق قناة أكثر من اثنتين وأربعين سنة انتقل فيها (مريود التل وناهض حتر) إلى رحمة الله .. كما غادر دنيانا جل - إن لم يكن كل - من عايش محمود المطلق أو صادقه أو جالسه .. بما فيهم أشقاؤه (إبراهيم ومصطفى ومحمد وآخرهم عبد الكريم).. وما زلنا بانتظار ضوء في نهاية النفق الذي دخلت فيه أوراق محمود المطلق ولم تخرج منه بعد!

في مثل هذه المواقف واللحظات الإنسانية ينتابني شعور شديد بالأسى على كل من مات أكثر من مرة في دنيا العقوق والخذلان ..

لقد مات محمود المطلق وربما عشرات على شاكلته أكثر من مرة في هذا البلد (ولم يكن الموت الطبيعي هو موتهم الأول أو الوحيد)

فهل نفتح بابا للأمل بأن يتحرك كرسي عرار لإنصاف هؤلاء الذين أخرجوا من التاريخ وتم تغييبهم قسريا ..

الحقوق محفوظ
التحرير : د.أحمد ابر

رابعا : مقتطفات من شعره

***** إلى وصفي التل : (بمناسبة عودته من المنفى الاختياري / اللجوء السياسي)**

هل الربيع ونور الدفلى ومضت تكفكف دمعها الثكلى

والتأم شمل كان منصدعا وأديل ممن صدع الشملا

نوديت يا وصفي فكنت لها ولطالما نوديت في الجُلّا

فاهنأ بحب مواطنيك وقل للمرجفين ورهطهن أُبلى

***** احتجاج**

عهدتك ياناظر الداخلية من الحاملين لواء القضيّة

لم تألو تتهم الحاكمين وها أنت في ركبهم مطيّة

سبتك شوامخُ تلك القصور بعمان والنفخة الجاهلية

أطعت أمانيك الدنيوية وأغوتك أطماعك الأشعبية

فبعت المسيح وطه بكيس من العملة الصعبة الأجنبية

بليّتُنا تُضحك الثاكلين وتلكم لعمري شر البليّة

حفاةٌ رعاةٌ وسرجٌ وليلٌ فبئس الرعاةُ وبئس الرعيّة

***** ثورة وتحدي**

لا تخشى عاقبة التطرف في حياتك والشطط

وأدر قفاك إلى الصواب وقل عاش الغلط

واهجر سبيل الاعتدال ومذهب الحل الوسط

واهزأ بأرباب المناهج والبرامج والخطط

التابعين لمن علا والتاركين لمن هبط

الحقوق محفوظة

واسلك سبيلك لا تبالي من توعد واستشط

وإذا تكاثرت الهموم عليك فاركبها ملط

والخال تكفيه التياسة والسخافة والعبط

ما الفوز بالتسليم مثل الفوز في عدد النقط

ومرتب مقداره عشرون دينارا فقط

لا تأبهن لهامل مهما تبجح أو خرط

***** لبيك أبا عمار:**

احتفاء بانطلاقة (الثورة الفلسطينية / المقاومة والكفاح المسلح)

لبيك أبا عمار

يا برقا يومض في الإعصار

يا فلكا يقتحم التيار

ياغورا يزخر بالأسرار

يا صوت "العاصفة " الهدار

أفأنت لها ؟؟

أقسمت بأنك أنت لها

ما دمت أخا للفتح

ما دمت سنان الرمح

أقسمت بأنك أنت لها

قسم البررة

قسم الأنصار لصاحبهم

تحت الشجرة

الحقوق محفوظة

*** في الحلم

يـا رُبَّ ظَبْيٍ قد حظيتُ به ... عيـنـاه مـن يأسٍ ومن أمل

فـي لـيلة رقصَ السـرور بـهـا ... ثَمِلاً عـلى الأفـواه والـمقـل

قـلـت: الـوفـاء فإنـنـي لَغب[٢] ... والـدَّيْنُ أضحَى فـائتَ الأجل

قـال: اتَّئد يكفـي عـلى مَهَلٍ ... فـالـخـير كلُّ الـخـير فـي الـمهَل

قـلـت: اغتفر فالـبرُّ أطـيبـه ... مـا كـان مبذولاً عـلى عَجَل

إنـي لعـمـرك جـدُّ مضطرمٍ ... وبـغـيرِ عطفك ضـيِّقُ الـحِيَل

*** هياكل الحب: معارضة لطيفة لأستاذه في مدرسة السلط الثانوية - حسني فريز- بعد صدور ديوان فريز الشعري (هياكل الحب) :

هياكل الحب عندي كلها عبث ... ما كان مثلي بزور القول ينخدع

الحب يفسد ما الأخلاق تصلحه ... وذاك أمر عليه الرأي يجتمع

بنيت للحب أبياتا بكيت بها ... ما كان فيها لأي الناس منتفع

هلا بنيت قلاع الحرب شامخة ... وكان فيها زئير الأسد يرتفع

تغشى الفوارس مفناها فمنصلت[٣] ... قد جاء يحرسها منهم ومدرع [٤]

ظننت شعرا هراء جئت تنظمه ... ما فيه رأي من الآراء مبتدع

ورحت تفخر فيه إنه كلم ... بمثله الناس في "ريمون" ما سمعوا

لا البحتري أمير الشعر قاربه ... ولا الرواة على أمثاله وقعوا

لو كان حيا تمنى أنه عدم ... مجنون ليلى لهذا الإفك يبتدع

الحب يضني وقنطاران وزنكم ... إذ لا يكون بكم ري ولا شبع

[٢] . شديد التعب : قال تعالى { لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ}.
[٣] منصلت : السيف المجرد من غمده
[٤] مدرع : لبس الدرع

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار

مثل البعير الذي قد مضه ألم في أذنه فبدا في رجله ظَلَع [٥]

سهل الحديث يسير أن تلفقه وذاك ليس عليك الدهر مقتنع

أما القريض فدع تشويه طلقته إن اللبيب يجيد القول أو يدع

** بوح

يا حلو إني قد صبرت فهل لصبري عنك غاية

أأظل في تيه الهوى أمشي إلى ما لا نهاية

وأنا الذي أوهى بحبكمو ربابته ونايه

بالله ما ذاك الجفاء أجاءكم عني وشاية

أرجو لدل أن تكون هجرتني لا للنكاية

*** محمود المطلق كان يجيد العزف على الربابة ، وقد سمع المطربة "سميرة توفيق " تغني أغنيتها المشهورة (شيلوا احبابنا شيلوا) فأعجبه اللحن فكتب قصيدة طويلة أقتطف بعض أبياتها:

كفَّ عن شدْوه البلبلُ

وانقضَى عهده الأول

ومضَى في دروب النوَى

هائمًا تائهًا يسأل

ما لأحبابنا نقضوا عهدهم

وعدُوا وما أنجزوا وعدهم

شيَّلوا قبلما نحتسي شَهْدَهم

وابتهلنا إلى الله لا رُدهم

[٥] عرج ، غمز في مشيه (يُطلق على الإنسان والحيوان)

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار للدراسات

** سخرية

إذا جاوزت أقدار الرجال كأصحاب العطوفة والمعالي

و واتتك الحظوظ وأنت لاه فطب نفسا وقل يا هملالي .

انتهى بحمد الله .

قراءة في أوراق واصف الصليبي

(١٩١٨ – 1976)

إعداد : د. عبدالفتاح النجار

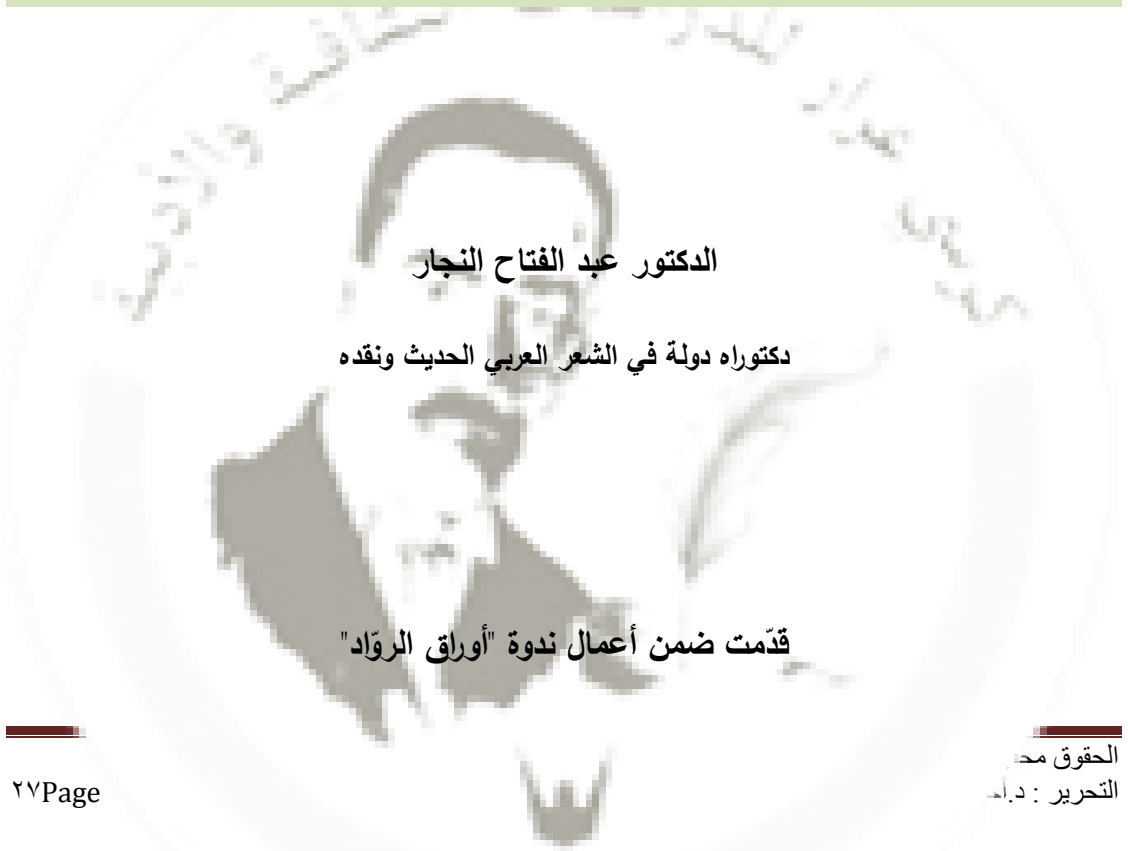

الدكتور عبد الفتاح النجار

دكتوراه دولة في الشعر العربي الحديث ونقده

قدّمت ضمن أعمال ندوة "أوراق الروّاد"

التي نظّمها كرسيّ عرار للدراسات الثقافية والأدبية في جامعة اليرموك

٢٠١٨/١١/٢٧

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار للدراسات الثقافية والأدبية – جامعة اليرموك

بسم الله الرحمن الرحيم

أسعد الله صباحكم بالخير، واليمن، والبركة، وبعد،

فسأتحدث اليومَ عن علمٍ من أعلام الأردنّ وفلسطين، المربي المرموق، والكاتب والشاعر الوطنيّ والقوميّ، والخطيبِ الكبير المفوّه، الذي برز خطيبا لثانويّة إربدَ، ثمّ لمعَ في أغلب المناسبات في مدينة إربد، وما يزال الإربديّون يذكرون خطبه المشهورة في كثير من المناسبات. وقد شارك بفعالية في جعل مدرسة إربد الثانوية في الحقبة التي عملها بها مصنعاً للوطنيين والقوميين، ومصنعاً للأدباء، ولرجال المستقبل. وقد أصدر مع عدد من زملائه في المدرسة المذكورة مجلةً عُنوانها "صوتُ الجيل"، وهي مجلةٌ رائدة في الصحافة المدرسية.

إنّه الأستاذ واصف عبدالرحمن داود الصليبي (أبو زهير) رحمه الله، وطيّب ثراه. وعلى الرّغم من أنّ أبا زهير معروفٌ لأهالي إربد، فإنني أجد من واجبي أن أُلقيَ بعض الضّوء على حياته، مدخلا للحديث عن أدبه وجهوده الشّعرية.

وُلد واصفٌ الصّليبيّ في مدينة نابلس بفلسطين سنة ١٩١٥. وتلقى تعليمه الابتدائي في المدرسة الهاشمية الابتدائية. وقد انكبّ في صغره على حفظ القرآن الكريم، وفتح الله عليه بما أراد. وانتقل واصف التلميذ إلى المدرسة الصّلاحية الثانوية، وأنهى دراسته في كلية النجاح الوطنية، وكان من أساتذته في هذه المدرسة أكرم زعيتر، والشاعران إبراهيم طوقان، وعبدالرحيم محمود.

كان واصفٌ في أثناء دراسته الثانوية يشارك في العمل الوطنيّ في فلسطين. وشجعته صحبة أساتذته الذين ذكرتُ بعضَ أسمائهم على المشاركة في العمل الوطني بنفسه وبشعره بفعاليّة أكبر.

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار للدراسات الثقافية والأدبية – جامعة اليرموك

وفي سنة ١٩٣٢ التحق بدار العلوم العليا في القاهرة للتخصص في اللغة العربية، فأمضى فيها عامين، ولم يتمّ دراسته لظروف صحية، فعاد إلى فلسطين، وعمل في البنك العربيّ. وفي تلك الفترة نشط في الجناح الشبابيّ للحركة الوطنية. وانتقل إلى القدس، فنابلس، فحيفا، فالقدس ثانيةً. وقد لاحقته سلطات الاحتلال البريطاني، واعتقلته مرتين مرةً لمدة عام، وأخرى لأربعة عشر شهراً. وانتدبه المرحوم (أحمد حلمي باشا) لتأسيس معهد أبناء الأمة في البيرة– قرب رام الله، وبعدها عاد للعمل المصرفيّ حتى سنة ١٩٥٠ حين التحق بوزارة المعارف الأردنية معلماً في مدرسة إربد الثانوية، ثم مديراً للمدرسة نفسها في سنة ١٩٥٠، ثم مديراً لمدرسة الجاحظ الثانوية في نابلس، ثم مديراً لدار المعلمين في بيت حنينا– القدس، فمديراً للتربية والتعليم في محافظة إربد، فمديراً للتربية والتعليم في محافظة الخليل، ثمّ أعير للعمل معلما في المملكة العربية السعودية، لثلاث سنوات، وعاد ليُعيّن في قسم التوثيق التربويّ في الوزارة في عمّان، ثم في معهد المعلمين بحوارة معلماً للغة العربية.

أحيل على التقاعد سنة ١٩٧١، فعمل في مدرستي القدس واليرموك. وعمل في جامعة اليرموك محاضرا غير متفرغ في قسم اللغة العربية. ونال وسام التربية والتعليم من الدرجة الأولى سنة ١٩٧٥.

وتوفي رحمه الله يوم الإثنين في الثاني من كانون الأول سنة ١٩٨٥. وما يزال أنجاله يقطنون في إربد.

وما زالت في ذاكرتي مجالسُ ضمّتني ورفقةً من رجالات إربد ومثقفيها مع أبي زهير في عيادة صديقنا المشترك المرحوم الدكتور سعيد دهمش، وكان أبو زهير صديقا لأخي المرحوم الأستاذ جميل النجار.

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار للدراسات الثقافية والأدبية – جامعة اليرموك

كتب واصف المقالات، وألقى أبلغَ الخطب، ونُشرت مقالاته في صحف الوطن العربيّ ومجلاته، ومن أشهر تلك المقالات: مقالة عنوانها "المليك الشاعر – درّة من درر الأندلس الغوالي" وهي عن المعتمد بن عبّاد، ومقالة عنوانها "شاعر الأردن مصطفى وهبي التل" نشرها في مجلة صوت الجيل، وله مقالة عنوانها "هند بنت عتبة" ، ومقالة عن البحتريّ شاعر السلاسل الذهبية. وقد امتاز أسلوبه في الكتابة النثرية بقوّة العبارة، وجزالة الألفاظ، والأسلوب الرشيق العذب، وبالتسلسل المنطقيّ، والإحاطة، والجرأة في إبداء الآراء الأدبية، والنقدية.

كما نظم واصف الشعر السياسي والوطني ونظم الشعر الاجتماعي وشعر المناسبات والغزل، ولكن بقلّة، وكان شعره من الشعر التقليدي الموزون المقفى من حيث الشكل، ولكنه كان بمفهومات عصره ابنا شرعيا للحركة الرومانسية الثورية، مثله مثل كثير من شعراء المرحلة الذين تخلّوا عن معجمية المفردات في القصيدة، وحوشي الكلام، والوقوف على الأطلال، والمدح، فالقالب الشعري تقليديّ، لكنه ليس عموديّا، فقد تخلى عن خطة القصيدة العربية، واحتفظ بوزن البيت وبالقافية الواحدة للقصيدة، ولكنه انطلق إلى رحابةٍ منحته إياها اللحظة الرومانسية الثورية العامرة بالأحاسيس الذاتية الفردية، والمشغولة في الوقت نفسه بالوطن والقضايا الكبرى.

وقد نشر الصليبي الكثير من شعره ومقالاته الأدبية في الصحف والمجلات. وممن كتب عنه وعن أدبه يعقوب العودات وزياد أبو غنيمة ومحمد سعيد حتاملة.

وقد شغل الموضوع الوطنيّ المساحة الكبرى من شعر الصليبي، بل لعلّه كان الغرض الأساسيّ الذي انشغل به واصف مثلما انشغل به شعراء المرحلة، ولا سيّما في الأردن وفلسطين. ومن قصائده المشهورة قصيدته التي ألقاها في جمعية الشبان المسلمين في القاهرة في الثاني من تشرين الثاني سنة ١٩٣٣ بمناسبة ذكرى وعد

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار للدراسات الثقافية والأدبية – جامعة اليرموك

بَلفور، ويتحدث فيها عن ظلم الإنجليز، وخبثهم في إصدار هذا الوعد المشؤوم، ومنها:

اللهُ أكبرُ خَيْسٌ ثُمّ عُدوانُ اللهُ أكبرُ إرهاقٌ وطُغيانُ
قدْ أخلفَ الإنجِليزُ الوعدُ يا لَهُمُ قوماً وُعودُهم كِذبٌ وبُهتانُ
يا صاحبَ الوعدِ لا تَغْرُرْك رَقْدتُنا أسرفْتَ في الوعدِ إنّ العُربَ ما هانوا

وقد كانت البلاد آنئذٍ تغلي مراجلها، وسارت المظاهرات في يافا، واصطدمت بالجنود، وجُرح كثيرون وقُتل كثيرون.

ومن قصيدته "شهيد الوطن" التي مجّد بها بطولة الشيخ عز الدين القسام الذي استشهد في ١٩٣٥/١١/٢٠ يقول:

نَفْسُ حُرٍّ عافتْ كؤوسَ الهَوانِ وأَبَتْ أنْ تَفِرَّ يومَ الرهانِ
زَهدَتْ في الحياةِ وهْيَ هَبَاءٌ وَمَشَتْ للخلودِ، للرحمنِ
هلّلتْ للرّدى وسارتْ إلى الهولِ تَهادَى تَهادِيَ الفُرسانِ
ألفُ مرحى لها تَسيرُ إلى الموتِ لإنقاذِ هذه الأوطانِ
يا شهيدَ البلادِ، يا شارةَ المجدِ لقد حُزْتَ جنّةَ الرّضوانِ
إيهِ قَسّامُ أنتَ فَتْحٌ جديدٌ أنتَ أنشودةُ الفِدا والطّعانِ

وهنا يقدّم الصليبي تحية للأبطال والمجاهدين ممثّلين بالشيخ القسّام، وهو موضوع ملحّ في شعر المرحلة، حين كانت تباشير ثورة ١٩٣٦ الكبرى تلوح في الأفق، وتحتدم الظروف السياسيّة، ويضيق الخناق على الشعب.

ومن قصيدة له قالها في أسَد حَمَاة سعيدْ بك العاص نظمها سنة ١٩٣٦، يقول:

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار للدراسات الثقافية والأدبية – جامعة اليرموك

يا للفجيعةِ حَلَّ الخطبُ والألمُ وضجّتِ الصخرةُ العلياءُ والحَرَمُ
أَودى سعيدٌ! فياالله مصرعُهُ أودى حَليفُ الظُّبا والفارسُ العلمُ
كمْ خَاضَ معركةً، كم فلَّ مَفرزةً النصرُ حالفَهُ والصارمُ الخَدِمُ
سَلُوا الفرنسيسَ عن أفعالِه فلقدْ أَفنى أشاوسَهم لمْ تُجدِهم هِمَمُ
أتى فلسطينَ ذَوْداً عن حظائرِها رَدْعاً لمن بالهوى والجَور قد حَكَموا

وقد استشهد سعيدْ بك العاص عند قرية الخضر بين بيت لحم والخليل، ولذلك فإنّ واصفا ما زال يخوض في الموضوع الوطنيّ، والقوميّ، وهذا سعيد العاص قائد مهم من قادة الثورة العربية الكبرى، انضم إلى الثورة في فلسطين برفقة عبد القادر الحسيني حتى استشهد في معركة الخضر سنة ١٩٣٦. ولذلك فإنّ الموضوع الوطنيّ يختلط بالموضوع القوميّ، لأن حركة المقاومة ضد الإنجليز، وضد الأتراك قبلهم كانت خليطا من أحرار العرب، من شتى أصقاع بلاد العرب.

وأمّا قصيدة "تحية للأمير" فيثني واصفٌ فيها على تبرعِ سموّ الأمير عبدالله الأول سنة ١٩٤٥ تبرّعا سخيّا لصندوق الأمة الفسطيني، ودعوةِ سموّه الشّعبَ، واستجابَةِ الناسُ لندائه الكريم، وعمل بذلك على معاضدة مشروعِ فلسطين الحيويّ لحفظ الأراضي الفلسطينية للعرب. فأرسل إليه الشاعر واصف رسالة شكرٍ على هذا العمل الكريم، وتلقى الشاعر جوابا من سمو الأمير سنة ١٩٤٥، شكره فيها على رسالته اللطيفة ومشاعره الكريمة وشاعريته الفذّة. يقول واصف:

دعْ عنْك ذِكرَ الهوى والخرّد الغِيدِ وعَدِّ عن رَسْمِ غِزلان أَماليدِ
واقصدْ ديارَ العُلا والعزّ منتجِعاً مَرَابع السّعدِ والإنعامِ والجُودِ
إلى الأميرِ الجليلِ القدرِ همّتُه سَمَتْ على كلّ مرجوٍّ ومقصودِ
جادَ "الأميرُ" ومن عاداتِه كَرَمٌ وابنُ الحسينِ كريمُ النّبْتِ والعُودِ

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار للدراسات الثقافية والأدبية – جامعة اليرموك

هذي إمارةُ عبدِاللهِ قد نَفَرَتْ ... للمكرماتِ بإخلاصٍ وتأييدِ
لبّوا نداءَ أميرٍ سيّدٍ بطلٍ ... حُلاحِلٍ عزْمُهُ عزمُ الصّناديدِ
شُكري لعطفِكَ يا مولاي جُدتَ به ... تَفْدي فلسطينَ من بيعٍ وتهويدِ
وما سموّكم إلا ابنُ بجْدتِها ... وليس قاصدُكم يوماً بمَرْدودِ
الله أكبرُ لا تَنْضامُ في بلدٍ ... على جوانبه نسلُ المصاميد

ومن الواضح أن غرض المدح عند الصليبي هنا ليس مدحا للأمير بوصفه أميرا فحسب كما كان يفعل الشعراء الكلاسيكيون، وإنما يذكّر الشاعر مآثره، ونسبه الشريف، لأن الأمير قام بعمل وطنيّ قوميّ يخدم قضية العرب، ويساعد في حماية فلسطين من الطامعين بها.

وتأتي النكبة، وتلقي بظلالها حتى على موضوع حب الوطن، فيتلوّن بلونها، يقول واصف من قصيدة "**من وحي نكبة فلسطين**: العرض والأرض" سنة ١٩٤٨:

الأرضُ لا العرضُ رمزُ العزِّ من قِدَمٍ ... بها الصّلاحُ وفيها العزُّ والتّرَفُ
في غيرِ أرضِك لا أهلٌ ولا وطنٌ ... ولا بقاءٌ ولا دِينٌ ولا شَرَفُ

وربّما ليس خفيّا تأثّرُه شعرَ المتنبي في قصيدته :

بمَ التعللَ لا أهلٌ ولا وطنُ ... ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سكَنُ

ويستمر في الموضوع نفسه وفي عتاب الزمان على ما حمله من مصائب للشعب الفلسطينيّ، يقول من قصيدة "خَلجات فؤاد" سنة ١٩٤٨:

عجبتُ للدهرِ كيفَ اليومَ عادانا ... وراحَ يقذفُنا بالهولِ ألوانا
مصائبٌ لمْ ترَ الدنيا لها مثلاً ... ترى مجلجلةً سحّا وتَهْنانا
كأننا لمْ نَكنْ أهلَ البلادِ ولمْ ... تُروِّها بالدمِ الزاكي ضحايانا

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار للدراسات الثقافية والأدبية – جامعة اليرموك

نِمْنا على الأمنِ والآمال مشرقةٌ ثمّ انتبهنا على الأرزاءِ تَغشانا
هِمْنا على وجهِنا والأرضُ تلفظُنا مشرّدِينَ نَبثُّ الكونَ شَكوانا

ولأنه كشأن كثير من الوطنيين في فلسطين والأردن كان محبّاً لوحدة الضفتين، والعلاقة المتميّزة بينهما، فقد عبّر عن شعور إربد وأهلها تجاه فلسطين، فقال من قصيدةٍ له سنة ١٩٤٩ بعنوان "في ذرى عجلون":

يا صَبا هبّتْ كأنفاس الخزامى من ذرا عجلون هاجت بي غراما
بلّغي أرض النبوّات الهوى وجوًى خالط لحمي والعظاما
إربد الخرزاتِ لا تنفكّ في حبّها الصادقِ تقريكِ السلاما
ما سلا أرضَك حرٌّ أبداً إربدُ الأحرار لا تنسى الذّماما
كلّما مَسّكِ ضُرّ مرضت ترسل الدمعَ سخيّا وسجاما

ومن وحي النكبة وثورة شوق الفلسطينيّ لأرضه، ولمدائن فلسطين الرائعة، يقول الصليبي من قصدية عنوانها "عروسُ البحر" سنة ١٩٤٩:

يا ساجعَ الطير هل فارقتَ أُلّافا فرحت ترسل آي الوجد هتافا
ذكرتُ يافا عروس البحر فابتدرتْ مني سوابقُ دمعٍ سال وكّافا
وأيّنا لم تذبْ شوقاً جوانحُه إذا تذكّرَ طيبَ العيش في يافا
لن يبرحَ الوطنُ المحبوبُ خاطرَنا مهما لقينا من الأيام إجحافا

ومن الواضح هنا تأثره بشوقي أمير الشعراء في معارضته ابن زيدون بالقصيدة التي مطلعها: يا نائح الطلح أشباهٌ عوادينا نَشْجَى لواديكَ أم تأسَى لوادينا؟

وقد كتب واصف قصائد كثيرة وصف المدن والأماكن الفلسطينية، وَوَصَفَ

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار للدراسات الثقافية والأدبية – جامعة اليرموك

اشتياقه لجمالها وروعتها، وكونَها مسارحَ للبطولات، مثلهُ في ذلك مثل كلِّ فلسطيني أبعده الاحتلال عن تلك الربوع.

ومن حبّ الأماكن والاشتياق لها إلى الدفاع عن رمزية الأماكن الفلسطينية، يقول من قصيدة "نهر الأردنّ" ردّاً على مفتش للتربية مصريّ الجنسية، قال إن نهر الأردن ترعة صغيرة لا تستحق الصراع عليها، والضجيج حول تحويل منابعها فكتب يرد عليه، وكان ذلك في العام ١٩٦٩:

نهر الخلودِ وأقدسُ الأنهارِ — اليُمن في مجراك سعدٌ جار
بركات خيرك لن تجفّ وإنما — وَهِمَ العدوّ بأنه لك شارِ
يا أيها الأردنّ أنت فخارُنا — مهما اعتدى المشهورُ بالغدّار
أنعم بأردنّ الهدى ومياهِهِ — وله تحيتنا مع الإكبار

وكان واصفٌ يرى إلى الوطن العربي كله بوصفه وطنا واحدا كبيرا، فها هو يقول من قصيدة "يا فتية النّيل" مرحّبا بوفد من الطلبة المصريين، وعلى رأسهم الشيخ عبدالوهاب النجار، والأستاذ عبدالمنعم خلاف:

حلَّ النهى إذ حللتم في روابينا — أهلاً بكم فتيةَ النيل الأبيّينا
تهلّلَ الوطنُ المحبوبُ يومَ علا — صوتُ البشير بإقبالِ المحبّينا
الكل قام يحيّي مصر قاطبة — في شخص أشبالها الغرّ الميامينا
يا فتيةَ النيلِ آسيتم بمقدمكم — جراحَنا، مرحباً خير المؤاسينا

وهنا يظهر الإحساس القومي، وعلاقات الشعوب العربية بعضها مع بعضها الآخر، وكيف كان هذا إحساسا عاما بالترحيب والحفاوة بالوفد المصريّ، وبعض ذلك الإحساس تجاه وفد الطلبة المصريين.

ومن الترحيب بوفدٍ مصريّ شقيق إلى تمجيد بطولة الأشقاء الجزائريين يقول واصف من قصيدة "نُسُورُ أطلس" سنة ١٩٣٣ :

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار للدراسات الثقافية والأدبية – جامعة اليرموك

أنفسٌ عافتِ المذلّة دهرا لم تلن قطّ، والنوائبُ تترى
أنفسٌ باعت الحياة لتحيا واشترتْ بالدّماء لا القول فخرا
وأرت خصمها اللدود فنوناً من فنون الوغى فأدبر ذعرا
يا فرنسا لقد زهوت كثيراً وتماديت في العداوة كبرا
يا فرنسا كفى عتوّاً وبغيا وافتتانا في الاضطهاد وغدرا

وهنا يظهر الموضوع القومي في تمجيد البطولة للجزائريين المناضلين ضد فرنسا وانتدابها البشع الذي قتل الأطفال والكبار، وأظهر صلافةً وقسوةً وعدمَ إنسانية.

وإذا غادرنا التزام الشاعر الواضح بقضيّته الوطنية وقضية العرب المركزية، والقضايا القومية، وحق الشعوب في التحرر من نير الاستعمار، وهي الموضوعات الأثيرة والمسيطرة على جلّ شعر الصليبي، نصادف بعض قصائد له في الغزل وهي قليلة، بل تعدّ على أصابع اليد، وربّما لا تشي بمستوى في السبك، ورفعة في النظم، بقدر ما كانت موضوعات للتندّر أو تنويعات على مواجع الحياة التي سيطرت على نفس هذا الشاعر العربي وشعره. فمن قصيدة له في فتاة اسمها منيرة كتبها في أثناء دراسته في مصر، يقول:

أنا عبدٌ وأنت أبهى أميرهْ خادمٌ عند بابكمْ يا منيرهْ
فارحميني بحق ربِّ البرايا واغفري لي إن كان لي من جريرهْ
اعطفي واصرفي سهامَ عيونٍ قطَّعتني تلك العيون الجسورهْ
رحمَ الله من أغاثَ محبّاً مُدنَفاً بالهوى، وكان مجيرهْ

فهي أبيات لطيفة، ولكنها لا تشكّل موضوعا في مجموع شعر الصليبي.

وفي موضوع المرأة أيضا يقول ولكنْ في غير الغزل من قصيدة عنوانها "تحية الاتحاد النسائي– إربد" في احتفال أقيم بسينما الزهراء سنة ١٩٤٦:

سلاماً نسوة الوادي سلاما فَعِقدُ السيدات حَلا نِظاما

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار للدراسات الثقافية والأدبية – جامعة اليرموك

وأهلاً بالحرائرِ جاهداتٍ فقد عَبِقتْ بساحتِنا الخُزامى
أميراتِ البلادِ لكُنّ مرحى فركنُ الاتحاد بكنّ قاما
فهيّا نسوة الأردنّ هيّا نحقّقْ نهضةً باتتْ لزاما

ولا ريب في أن شاعرا يشغله الموضوع الوطني والنضال والوطن المسلوب، سيرجع إلى التاريخ الإسلاميّ، يفتش عن المآثر والانتصارات على الباطل، فمن قصيدة كتبها سنة ١٩٣٥ في ذكرى معركة بدر يقول:

يا يومَ بدرٍ، وما بدرٌ سوى شرَفٍ للمسلمين به نزهو ونفتخرُ
يومٌ به المشركون انهدّ صرحُهُمُ والمؤمنون مشَوْا يحدُوهم الظّفرُ
فيهِ الملائكُ قد قامتْ مهلّلةً بنصرِ أحمدَ، والآياتُ والسّورُ

وهنا يظهر الموضوع الدينيّ، وفيه تتجلى معاني تمجيد البطولة، والفخر بانتصارات جيش الإسلام في عصر النبوّة.

وفي الخلاصة نجد أن واصف الصليبي كان شاعرا ملتزما بالمفاهيم الرومانسية للالتزام، وكان ابن مرحلته، حمل هم الوطن السليب، ومجد بطولات المناضلين، وأعلى من صنيع أبطال قضايا التحرر العالمي، وركز على وحدة الأمة العربية، وعلى تحررها من كل نير، واحتلال واستعمار. كان واصف شاعرا رومنسيّ الشعور، تقليديا في القالب الشعري الذي اعتمده للتعبير عن أغراضه، وحصر جل شعره في قضية مركزية، فجاد هذا الشعر، وظهرت القصائد وكأنها قصيدة واحدة متعددة الأوزان والقوافي، فكانت الموضوعات متكررة، والصوت ممتدا وواضحا، فلم ينس، ولم يتناسَ، ولم يشغله شيء عن غرضه الأسمى.

الحقوق محفوظة لدي كرسي عرار للدراسات الثقافية والأدبية – جامعة اليرموك